

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله صاحب العزّة والملكوت ، أعزّ العربية بنزول القرآن الكريم بها فحفظها وحفظه ، وأتمّ على المسلمين نعمة اليقين ، والصّلاة والسّلام على من وّحد برسالته بين أجناس البشر فتآلفت قلوبهم ، وارتقت في العلا منزلتهم ، وعلى آله وأصحابه أولى العقول الراجحة والقلوب الخاشعة المتضرعة وسلّم اللّهم تسليمًا كثيرًا .
أما بعد،،،

فلما كانت اللغة العربية تمثّل جزءًا رئيسًا من الدّين الإسلامي الذي تعيش لأجله ومن أجله هذه الأمة تعدّدت حولها الدّراسات وتكاثرت إسهامًا في إعلاء شأن هذه اللغة ، وجعلها دائمًا في مقدّمة الصّفوف بين لغات العالم ، تبرز بينها كالطّود الشّامخ ثابتة الأركان محدّدة الملامح والسّمات .

وقد اهتمّ علماء العربية بدراسة أولى لبنات هذه اللغة عن طريق دراسة الصّوت اللغوي باعتباره أصغر وحداتها ، والذي يمثّل القاعدة الأساسيّة لبناء متكامل الأركان .

وقد برز من خلال تلك الدّراسات الصّوتية قضية حظيت باهتمام خاصّ عند علماء العربية قديمًا وحديثًا وهي قضية " الإبدال اللغوي " فصنّفوا فيها بعض المصنّفات الخاصّة بها⁽¹⁾ ، أو ظهرت عندهم كقضية من أهمّ القضايا⁽²⁾ .

وربّما كان الدّافع لهذا الاهتمام هو أن الإبدال أصبح له " فائدة كبيرة في علم اللغة ، فإن معرفة علل تبدل الحروف وأصولها القديمة مفتاح من مفاتيح علم الاشتقاق ، فإنه هو الذي يكشف الصّلة بين كلمات تباعدت أشكالها وضاعت معالم قرباها ، سواء كانت في لغة واحدة أم في لغات مختلفة ، فإن معرفة قوانين الإبدال هي التي تكشف لنا الصّلة بين (ضرب و اضطراب) ، و(غبين و جبن) و(غفر و كفر)⁽³⁾ " .

(1) منها على سبيل المثال : كتاب الإبدال لأبي يوسف يعقوب بن السّكيت ، وكتاب الإبدال لأبي الطيّب عبد الواحد بن على اللغوي ، وسرّ اللّيال في القلب والإبدال لأحمد فارس الشّدياق .

(2) منها على سبيل المثال : كتاب سر صناعة الإعراب ، وكتاب الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ، والمخصص لعلى بن أحمد بن سيده ، والمزهر في علوم اللغة لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي .

(3) فقه اللغة . محمد المبارك ص 39 - مطبعة جامعة دمشق .

إضافة إلى أن الإبدال قد تحقّق بصورة واسعة في ألفاظ اللغة العربية , حتى قيل : " قلما تجد حرفاً إلا وقد جاء البدل فيه ولو نادراً⁽¹⁾ " .

فأصبح " من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض⁽²⁾ " .

وقد حاول علماءنا التّأصيل لهذه القضية , ووضع الصّوابط والقوانين الخاصّة بها حتى لا تتشابه أو تختلط بغيرها من الظّواهر الأخرى , فبدّلوا في سبيل تحقيق ذلك جهداً عظيماً عنوانه الوفاء والإخلاص , حتى وفّقوا في صنيعهم , واهتدوا إلى الثّوابت التي تعتمد عليها تلك القضية , فأضحت جهودهم شمساً ساطعة في سماء لغتنا العربية .

وقد حاولت قدر جهدي معالجة تلك القضية عن طريق أعظم نصّ مقدّس عرفته البشريّة واستمدت منه وجودها , وهو القرآن الكريم بقراءاته الكثيرة المتنوّعة , والتي تُعدّ مظهرًا من مظاهر إعجازه ؛ لأنّ " من جوانب إعجازه - وما أكثرها - أن نقرأ كثيراً من كلماته وجمله , بوجوه مختلفة , وتظل الأحكام والمعاني مؤتلفة , فلا نجد تناقضاً في الأحكام , ولا تعارضاً في المعاني , مما جعلني أقول مع القائلين : عندما تختلف القراءات وتختلف دلالاتها فكلّ قراءة تُعتبر كأنّها آية أخرى , بسبب المعنى الخاص الذي تؤدّيه وحدها إلينا , وغيرها لا يؤدّيه , وذلك أحد سمات الإعجاز لهذا الكتاب العزيز , لأنّه تأدية الكثير من المعاني بالقليل من المباني⁽³⁾ " .

وإذا كان محور الاختلاف بين القراءات القرآنيّة ينحصر في سبعة أوجه , فإن الإبدال بين الصّوامت يُعدّ وجهاً من تلك الوجوه السبعة , وهو ما ركزت تلك الدّراسة عليه وأبرزته من خلال عنوان " الإبدال اللغوي بين الصّوامت في القراءات القرآنيّة⁽⁴⁾ " , وذلك محاولة مني لبيان أهميّة القراءة القرآنيّة وأثرها الملحوظ في تأصيل جانب التيسير على الأمة الإسلامية في هذا الباب المعروف باختلاف اللهجات العربية .

(1) المزهر في علوم اللغة للسيوطي . تحقيق . محمد جاد المولى وزميله 1 / 461 - الطبعة الثالثة د . ت .

(2) الصّاحبي لابن فارس . تحقيق . السيد أحمد صقر ص 333 - مطبعة الحلبي - دار إحياء الكتب العربية .

(3) الكشف عما بين القراءات العشر من خلاف د . أحمد محمد إسماعيل البيلى ص 14 - الدار السودانية للكتب - الطبعة الأولى 1419 هـ - 1998 م .

(4) وقد سبق أن قدّمت دراسة خاصّة بالتثليث الحركي في القراءات القرآنيّة بعنوان " المثلث في القراءات القرآنيّة " .

هذا ، وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة .

المبحث الأول : ويشتمل على :-

أ- الإبدال في اللغة والاصطلاح .

ب- الإبدال وآراء العلماء .

ج- مُسَوِّغات الإبدال .

المبحث الثاني : ويشتمل على :-

أ- مخارج الصّوامت العربية .

ب- صفات الصّوامت العربية .

المبحث الثالث :

الإبدال اللغوي بين الصّوامت في القراءات القرآنيّة .

هذا ، وقد تمّ تحليل الألفاظ القرآنية داخل هذا المبحث من خلال المنهج التالي :-

أ- ذكر الصوتين محور التبادل مع ذكر اللفظة القرآنيّة .

ب- ترتيب الصوتين ترتيباً مخرجياً بدءاً بالحنجرة وانتهاءً بالشفيتين .

ج- ذكر النّصّ القرآني مع بيان اسم السّورة ورقم الآية .

د- نسبة كل قراءة إلى أصحابها بعد ذكر القراءتين .

هـ- العلاقة الصّوتية بين الصوتين .

و- الشّرح والتّحليل .

وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي توصّلت إليها .

وبعد ، فإن قدّمت تلك الدّراسة عملاً جاداً تستفيد منه المكتبة العربيّة فذلك فضل الله

يؤتيه من يشاء ، وإن كان غير ذلك فأدعوه - عزّ وجلّ - أن يَمُنَّ عليّ من فضله ، ويشملني

برحمته ، ويغفر لي زلّتي ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه .

obeikand.com